

النقد في الادب العربي القديم من الجاهلي الى العباسي

Criticism in ancient Arabic literature from the pre-Islamic to the Abbasid

د : حسين الأكل

جامعة عمّار ثليجي الاغواط : الجزائر مخبر اللغة العربية وآدابها

تاريخ النشر: 2024/01/23	تاريخ القبول: 2023-10-29	تاريخ الارسل: 2023-07-06
-------------------------	--------------------------	--------------------------

الملخص:

واجه العربي قديما عدوين لدودين ، كان الأول متجلبًا في الطبيعة وأهوالها ؛ أما الثاني فتجلّى في الموت قانع الخلد ؛ ولم يكن أمامه سوى أن يستسلم أو يتحدى ، فراح يتحدى ؛ ومن بين الأسلحة التي جابه بها الموت سلاح الشعر ، الذي راح العربي يسجل فيه حياته ؛ لأنه أدرك أن الموت يلاحقه ، ولا ننسى أن لهذا الشعر أخص حميم لطالما سهر ورعى الأخ ؛ بأحسن رعاية لكي يستقيم ، إنه النقد ، الذي وجد بعد أول مقطوعة شعرية ؛ قيلت وكان بسيطاً عفويًا شفويًا ، تمثل في أحكام عامة ؛ ليست بالدقيقة ولا العميقة ، وذاك ما نسميه بالنقد الانطباعي التأثيري ، وانطلاقاً من التسليم بمكانته ودوره الهام جدًا ؛ في حياة الأدب العربي القديم ، سنحاول اكتشاف ذلك بالوقوف على أهم محطات نشأته وتطوره في الأدب العربي القديم ؛ وكذا ادراك نجاعته في غربلة الذوق والألسن والإحساس العربي ؛ ومن ثمّ الابداع الفني ، و حقيقة وجدناه عامل مهم في الأدب العربي ؛ ونقول بأسبقية ورعاية النقد للأدب بأنواعه ، لأن عامل التنقيح والتحصيص والغربلة ضروري جدًا في كل الأعمال .

الكلمات المفتاحية : النقد ، الشعر ، التّحصيل ، الذّوق، الابداع .

Abstract

In the past, the Arab faced two bitter enemies, the first was nature and its horrors, while the second manifested itself in death, the suppressor of eternity, and he had no choice but to surrender or be challenged. Among the weapons with which he confronted death was the weapon of poetry, with which the Arab began recording his life because he realized that death was chasing him.

And let's not forget that this poetry has a close brother, who has always watched and looked after the brother with the best care in order to be upright. It is the criticism, which was found after the first piece of poetry said and was simple, spontaneous or oral.

Acknowledgment of its place and its very important role in the life of ancient Arabic literature. We will try to discover this by standing on the most important stations of its inception and development in ancient Arabic literature.

As well as realizing its effectiveness in sifting Arab taste, tongues, and feeling, and then artistic creativity, and the fact that we found it an important factor in Arabic literature And we say the primacy and care of criticism of all kinds of literature, because the factor of revision, scrutiny and sifting is very necessary in all works.

Keywords: criticism, poetry, scrutiny, taste, creativit

1. مقدمة :

لقد كان الشعر ؛ كل شيء في حياة العربي الجاهلي، وُلد ونمى وترعرع في أحضانها، اجتهد و عكف عليه وتعهده حتى كبر ؛ وأبغى ؛ وصار قصائد ، و لكن لا ننسى أن لهذا الشعر أضحى حميم ، لطالما سهر ورعى الأخ بأحسن رعاية ، إنه النقاد ، لقد وجد النقد بعد أول مقطوعة شعرية قيلت و تشعبت الآراء حول البدايات الأولى للنقد العربي، فمنهم من يرى أنه ظهر قبل الشعر، الذي يعدّ خزانة العرب ومستودع ، علومها ، كما قال عـمر بن الخطاب رضي الله عنه - : "كان الشعر علم قوم ؛ لم يكن لهم علم أصح منه" (الجمحي، 1974، صفحة 24) ودليلهم على أسبقية النقد للشعر، هو أن الشاعر يعدّ أول ناقد، وأول متلق، لعمله كما رأى الدكتور محمد العمري (العمري، 2010، صفحة 48)

و عليه فالغاية من كلامنا هذا ؛ هو القول بأسبقية ورعاية النقد للأدب بأنواعه ، لأن عامل التنقيح والتحصيص والغلبة ضروري جدًا في كل الأعمال ، فحتى صانع الآلات اليوم ؛ نراه يمكث وقتًا طويلاً في البدايات الأولى وربما يلغي كل عمله الأول ؛ انطلاقاً من نظرات نقدية جديدة ، و هكذا حتى يصل إلى منتج يرضي الأغلبية . بقي العربي يصدر بشعره في أغراض مختلفة ، و بلهجة قومه ؛ بدأه بأنواع من السجع ، ثم أتبعه رجزاً وحين اهتدى للرجز صار شعره صحيحاً ، يوضع على محكّ النقد ، وفيه يرى أحمد إبراهيم : "أن هذا الشعر مرّ بضروب كثيرة من التهذيب، حتى بلغ ذلك الذي نجده عليه أواخر العصر الجاهلي... فلم يكن طفرة أن يهتدي العربي لوحدة الروي في القصيدة ، و لا لوحدة حركة الروي ولا للتصريح في أولها ولا لافتتاحها بالنسب والوقوف بالأطال ، لم يكن طفرة أن يعرف العرب ، كل تلك الأصول الشعرية في القصيدة وكل تلك المواصفات في ابتداءاته مثلاً ، و إنما ذلك كله بعد تجارب ، وبعد إصلاح وتهذيب ، وهذا التهذيب هو النقد الأدبي " . (إبراهيم ط، تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع هجري، 2004، صفحة 24)

بمعنى لولا النقد وجهوده، لما وصل الشعر إلى ما هو عليه اليوم ، و من هذا كله لا يسعنا إلا أن نقف على أهم المحطات النقدية ، التي رافقت الشعر ، و النثر معا في العصر الجاهلي ، عصر البداية الفعلية لثنائية النقد والشعر، وكما هو معروف أن الشعر يثير انفعالات، ولا بدّ لها من استجابات سواء بالسلب ، أو الإيجاب ؛ وعنها يصدر الحكم وهذا الحكم هو النقد بعينه .

2 . العصر الجاهلي :

تبدو صورة الناقد الحضيف المسموع لكلامه ، والمركون لحكمه متجلية في شخصية الشاعر الكبير، زياد بن معاوية المعروف بالنابغة الذبياني، فقد روى الأصمعي (العاكوب، 2012، صفحة 26): "أن النابغة كانت تضرب له قبة ؛ بسوق عكاظ فتأتيه الشعراء فتعرض أشعارها عليه فأتاه الأعشى فأنشده ثم أتاه حسّان فأنشده : (مهنّا، 1994، صفحة 219)

لَنَا الْجَفَنَاتُ الْغُرُ يُلْمَعْنَ بِالضُّحَى **** وَأَسْيَافُنَا يَقْطُرْنَ مِنْ نَجْدَةٍ دَمًا
وَلَدُنَا بَنِي الْعَنْقَاءِ وَابْنِي مُحَرَّقٍ **** فَأَكْرَمُ بِنَا خَالًا وَأَكْرَمُ بِنَا ابْنَمَا

فقال له : "ما صنعت شيئا، قللت أمركم ، فقلت جفّنات وأسّيف" ، لأنّ كلتا الصّفتين دالة على جمع القلّة ؛ وهو مالا يتناسب مع الفخر، كما زاد القلّة فحشا لفظتا تلمع وتقطر ، كما أخذ عليه فخره بمن ولد ؛ وليس بمن ولده . هذه الملاحظات ، والانطباعات ، شكّلت منطلقا للدرس البلاغي ، والنقد المنهجي فيما بعد ، و الذي أخذ ينمو ويكبر حتى صارت له أسسا ومعالما منهجية يحتكم إليها ، كانت تلك الشرارة الأولى لاندلاع الملاحظات النقدية المبنية على منظور عقلي ، تدفعها الفطرة والحاسة الفنية ، و التي تبلورت فيما بعد ، لتصبح قواعد ومعايير يحتكم لها.

إذا وجد النقد ، و الناقد والشاعر معا ، يقول الدكتور طه أحمد إبراهيم : "وجد النقد الأدبي في الجاهلية ولكنه هينا يسيرا ، ملانما لروح العصر؛ ملانما للشعر العربي نفسه ، فالشعر الجاهلي إحساس محض ، أو يكاد والنقد كذلك ، كلاهما قائم على الانفعال والتأثر ، فالشاعر مهتاج بما حوله من الأشياء ، والحوادث والناقد مهتاج بوقع الكلام بنفسه ؛ وكل نقد في نشأته لابد أن يكون قائما على الانفعال ، بآثر الكلام المنقود والنقد العربي لايشذ عن تلك القاعدة" . (سعودي، 2012، صفحة 13)

لقد كان عند الجاهليين ما يشبه النوادي الأدبية في وقتنا ؛ أو الصالونات الأدبية، أين يتمّ عرض البضائع واستقبال حكم التّقديم والتّقييم ؛ فلقد روى صاحب الأغاني (الفرج، الأصفهاني، صفحة 257.258/2) أن عبد الله بن قتادة المحاربي ؛ قال: " كنت مع النابغة بباب النعمان بن المنذر ؛ فقال لي: هل رأيت لبّيد بن ربيعة ، فيمن حضر؟ فقلت : "نعم قال :أيهم أشعر؟ قلت: "الفتى الذي رأيت من حاله ؛ كيت و كيت" ، فقال : "اجلس بنا حتى يخرج إلينا" ، قال: فجلسنا ؛ فلما خرج، قال له النابغة : " إلي يا ابن أخي" فأتاه ، فقال: " أنشدني" فأنشده قوله:

أَلَمْ تَلْمِمْ عَلَى الدِّمَنِ الْخَوَالِي **** لِسَلْمَى بِالْمَذَانِبِ فَالْقُقَالِ

قال له النابغة: "أنت أشعر بني عامر زدني" فأنشده:

فَبِعَاقِلٍ فَلَا نَعْمَيْنِ رُسُومٌ ****

طَلَّلَ لِحَوْلَةَ الرَّسَيْسِ قَدِيمٌ

قال له: "أنت أشعر هوازن زدني" فأنشده قوله:

بِمَنْى تَأْبَدُ غَوْلَهَا فِرْجَامُهَا ****

عَفَّتِ الدِّيَارُ مَحَلُّهَا فَمَنْعَا مَهَا

فقال له النابغة: "اذهب ؛ فأنت أشعر العرب".

إنَّ المتمعن لموقف النابغة يلحظ طريقة الاستدراج ، والتدرج في الحكم ، فلقد اختار الشاعر أولاً ؛ وأصرَّ على سماعه ؛ حتَّى يهيئ الحكم ، طبعاً السَّماع منه ؛ و معاينة قوله بالحضور ، وفي النهاية أصدر قراره ، و تقييّمه النهائي له بأنّه أشعر العرب ، وهذا ليس حكماً اعتباطياً ، ناجماً عن هوى ، بل حكم خبير بالجزئيات ، متمرس بالدقائق.

كما نجد صورة الناقد، قد أخذت شكلاً آخرًا ، يتمثل في القبيلة قاطبة، فمثلاً قبيلة قريش كانت تفضل زهيرًا والنابغة ، فلقد روى صاحب الأغاني عن حماد الراوية، قوله : "كانت العرب ؛ تعرض أشعارها على قريش ، فما قبلوه كان مقبولاً وما ردّوه منها كان مردوداً، فقدم عليهم علقمة بن عبدة ؛ فأنشدهم قصيدته التي يقول فيها: (إبراهيم ط.، تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع هجري، 2004، صفحة 26)

هَلْ مَا عَلِمْتُ وَمَا اسْتَوْدِعْتُ مَكْتُومٌ **** أَمْ حُبُّهَا إِذْ نَأَتْكَ الْيَوْمَ مَصْرُومٌ

فقالوا هذه سمط الدهر ، ثم عاد عليهم العام المقبل، فأنشدهم:

طَحَا بِكَ قَلْبٌ فِي الْحَسَنِ طُرُوبٌ **** بُعِيدَ الشَّبَابِ عَصَرَ حَانَ مَشِيبُ

فقالوا: "هاتان سمط الدهر". (الشنتمري، 1969، صفحة 33 و 50)

ومنه نجد الذوق هنا جماعي ؛ ليس فردي ؛ سرى بين أفراد القبيلة الواحدة ، الذين تجمعهم أمور شتى كاللهجة والمعتقد والمزاج ؛ والعادات والتقاليد مع شيء من اختلاف الرؤى والفكر ، لقد انتبه عرب الجاهلية إلى ميزة هامة ؛ وهي تفوق بعض الشعراء في بعض الأغراض ، وتلقبهم بصفات يستحقونها ، فمثلاً لقبوا الأعشى بصنّاجة العرب ؛ لأنّه ما مدح أحد قط ، إلا رفع له قدره ، وكذلك إجادة الخنساء للرثاء وزهير في معاني الحكمة وامرؤ القيس جيد التشبيهات ؛ لقد كانوا دقيقين الملاحظة بدءاً من الخطأ اللغوي ، حتّى المعاني والصّور ، فلقد عابوا على النابغة الدّيباني خطأ ، يعرف في العروض باسم "الإقواء" ويعني اختلاف حركة الرّوي ، في القصيدة الواحدة فالنابغة لم يابه لرفع النّعت فجرّه خضوعاً للقافية ، وهذا حين قال : (المرزباني، 1385 هـ .، صفحة 52)

أَمِنْ آلِ مِيَةَ رَائِيحٍ أَوْ مُعْتَدِي **** عَجَزَ لَنْ ذَا زَادَ وَغِيَرُ مَزُودٍ
رَعَمَ الْبَوَارِحُ أَنْ رَخِمْ لَنْنَا عَدَا **** وَبَذَلِكْ خَبَرْنَا الْغُرَابُ الْأَسْوَدُ

كذلك من أهم الفكر النقدية عند عرب ما قبل الإسلام ، فكرة الرّواية وهي أن يلزم الشاعر النّاشئ الشاعر الفحل لسمع ، ويحفظ ، ويذيع من شعره بين النّاس ، ويتمثل الجانب النقدي هنا ، في إدراك العرب الطبيعة الواحدة أو المتقاربة عند شعراء المدرسة الواحدة ، التي يتلمذ اللاحق فيها على السّابق ، كما تشير المصادر إلى أن كعب بن زهير ، والحطيئة كانا يرويان عن زهير.

و ما التّحبير و التّحكيب و التّفتيح ، سوى سمات نقدية ؛ يقوم بها المبدع اتجاه عمله ، من أجل إخراجها في صورة حسنة ، فهو يرى أنّ الشّعر ليس تدفقاً تلقائياً ، بل فيه مكابدة ، تتجلى في الإضافة والنقصان واشتهر بهذا الإبداع ؛ معهد زهير بن أبي سلمى الشّعري، الذي تخرج منه كعب بن زهير ، و الحطيئة وآخرون فهذا سويد بن كراع يقول واصفاً حاله مع الشّعر : (قتيبة، 1977، صفحة 239)

أَبَيْتُ بِأَبْوَابِ الْقَوَافِي كَأَنَّمَا **** أَصَادِي بِهَا سِرْبًا مِنَ الْوَحْشِ نَزَعَا

أَكَالَتْهَا حَتَّى أَعْرَسَ بَعْدَمَا **** يَكُونُ سُحَيْرًا أَوْ بُعِيدَا فَأَهْجَعَا

عَوَاصِي إِلَّا مَا جَعَلْتُ وَرَاءَهَا **** عَصَا مَرْبَدٍ تَغْشَى نُحُورًا وَأُذْرَعَا

كذلك لاننسى ظاهرة الإجازة في الشّعر ، والتي هي كما قال ابن رشيق : "وأما الإجازة فإتّباعها، بناء الشاعر بيتاً أو قسيماً ؛ يزيده على ما قبله ". (القيرواني، 1981م،، صفحة 89)

أما الجانب النقدي فيها ، فيتمثل في أنّها تتطلب إدراكاً و فطنة دقيقة ؛ لبنية النّسيج اللّغوي ، والدّلالي للنّص المحاكى، حتّى يأتي إتمامه على شكل موازي وحسن ، وهذا يصدر من خبير متمرس بالقيم ، و المثل ، و لقد ورد في الأغاني (3): "أقبل النابغة الدّيباني يريد سوق بني القينقاع ، فلحقه الرّبيع بن أبي الحقيق ، نازلاً من أطمه فلما سمعا الضّجة ، وكانت سوقاً كبيرة فحاصت بالنابغة ناقته ، فأنشأ يقول:" (الفرج، الأصفهاني، صفحة 91/23)

كَادَتْ تُهَالُ مِنَ الْأَصْوَاتِ رَاحِلَتِي ****

ثم قال للرّبيع بن أبي الحقيق: "أجز يا ربيع"، فقال:

وَالنَّفَرُ مِنْهَا إِذَا مَا أُوجِسَتْ حُلُقِي ****

فقال النابغة: "ما رأيت كالיום شعراً " ، ثم قال:

لَوْلَا أَنَّهُنَّ نَهَهَا بِالسَّوْطِ لَاجْتَدَبْتُ ****

أجز يا ربيع فقال :

مَنِي الزَّمَامَ وَإِنِّي رَاكِبٌ لِبَيْق ****

وقد تكون الإجازة بشطر أو بيت ، مثلما صنع زهير مع ابنه كعب ، كما تطلب الإجازة من الصغار والناسخين للوقوف على قدراتهم ، وهي تربية للنشء ؛ وإعمال للذهن والقدرات

كما نجد الحكم النقدي ، يصدر عن أمة بأكملها ... ، وهذا يمثل انطباع عام ، يشمل عدة قبائل إزاء شاعر أو قصيدة ؛ فهذه العرب كلها كما ذكر المرزباني في الموشح زعمت أن المهلهل بن ربيعة (1) : "كان يدعى في شعره ؛ و يتكثر في قوله أكثر من فعله " . (المرزباني، 1995، صفحة 92)

كما ذكر أن الأصمعي ، كان يفضل قصيدة سويد بن أبي كاهل ، التي مطلعها : (اليشكري، 1972، صفحة 23) بسطت رابعة الحب لنا **** فوصلنا الحب منها ما اتسع وقيل كانت العرب تقدمها ، وتعدها من الحكم .

كما ذكر صاحب العمدة ، أن لبيدا الشاعر ، سئل من أشعر الناس؟ قال : " الملك الضليل ، قيل ثم من ؟؛ قال الشاب القتيل ، قيل ثم من ؟؛ قال الشيخ أبو عقيل -يعني نفسه- " . (القيرواني، 1981م.، صفحة 95/1) طبعاً هذه أحكام ليست اعتباطية ، فهي صادرة عن تجربة ، وحكمة وانتقاد ، وفق معايير ثابتة يقول بها المنطق فهذا حكم شاعر على شاعر ، كما فطن الجاهليون إلى النسبة والمنسوب في كلامهم ، فقد روي أن المسيب بن علس مرّ بمجلس بني قيس بن ثعلبة ، فاستنشدوه ، فأنشدهم قوله (3) : (الوصيفي، 2003، صفحة 127) ألا انعم صباحاً أيها الربيع واسلم **** تحية محزون وإن لم تكلم فعندما وصل إلى قوله :

وقد أتتني الهمة عند إكباره **** بناج عليه الصغرية مكدم

قال له طرفة ، وكان صغيراً يلعب : "استنوق الجمل" وضحك منه وسخر ؛ لأن الصغرية سمة الإناث لا الفحول من الإبل ؛ فقال له المسيب : "يا غلام ؛ اذهب إلى أمك بمؤبدة " . (المرزباني، 1385 هـ .، صفحة 95) فهذا صبي حملة ذوقه وخلفياته الأبتمولوجية ، و الفطرية والمكتسبة ، على غربة وتمحص تلك الصورة التي سمعها من شاعر ؛ و التي أحدثت له شرارة كهربائية بين النسبة والمنسوب إليه ، وتجلت ذلك في التعارض والتنافي فتفطن بعد تقييم إلى إصدار حكم منطقي ، يوضح الصورة ويزيل الإبهام ، وهي صورة الصغرية . كذلك الشاعر نفسه ؛ أصدر حكماً يتماشى ومكانة الصبي الناقد ، فهو قد توصل إلى حكم أكبر منه في الحقيقة ، وأصغر من الفطرة البشرية ، وخاصة العربية الجاهلية ، فالمسيب بعد تفحص ودراسة ، استنتج ما لهذا الصبي من فطنة وبصيرة نقدية صائبة ، وحكم له بالدهاء والإعجاب.

3. النقد في صدر الإسلام :

نقصد به فترة ظهور الدين الإسلامي ؛ حتى قيام الدولة الأموية عام 41هـ ، لقد كان للإسلام موقفاً واضحاً اتجاه الشعر ونقده ، فلقد كان موقفه اتجاه الشعر من خلال ثنائية الحلال والحرام ، فهو موقف ديني لا بد من إرضاء الله فيه أما موقفه من ناحية جيده وريده ، فهذا موقف فني جمالي .

وحرص الإسلام على إخضاع الموقف الجمالي ، للموقف الديني ، والدليل آيات القرآن الكريم ؛ وأحاديث رسول الإسلام صلى الله عليه وسلم ، فلقد بين القرآن المجيد ضرورة التمييز بين التجربة الجمالية والإيمانية ، التي هي المنشودة عند الشاعر وغيره ، وقد تلتقى التجربة الدينية مع الفنية عند الشاعر ؛ مثلما حدث عند حسان بن ثابت ؛ وكعب بن مالك رضي الله عنهم ، كما كان النبي عليه الصلاة والسلام ؛ يعرف قيمة الشعر عند العرب فقال : " لا تدع العرب الشعر حتى تدع الإبل الحنين " ، (السبكي، 1964، صفحة 224/1) وكان الميزان الذي يوزن به الشعر والشاعر ، هو الإيمان والإسلام .

ولقد اهتم الإسلام بالمضمون أكثر من الشكل ، و لم يتحرّج الرسول عليه الصلاة والسلام من الشعر فلقد علم أنه سلاح ، وأعجب بشعر حسان ؛ والناطقة الجعدي ، وقال له " لا يفضض فاك " واستحسن لكعب "بانت سعاد" وصفح عنه ؛ وأعطاه برده ، و استمع إلى الخنساء وقال "إن من البيان لسحرا" . (العاكوب، 2012، صفحة 50) و مارس الرسول صلى الله عليه وسلم ، النقد ، فلقد سمع كعب بن مالك ؛ يقول :

مقاتلنا عن جذمنا كل فخرهمه **** مدربة فيها القوائس تلّمع

فقال له : " لاتقل عن جذمنا ، ولكن قل " : مقاتلنا عن ديننا " . (الفرج، الأصفهاني، صفحة 154/16) .

وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم ؛ عند ما انشده كعب بن زهير ، قصيدته : (العاكوب، 2012، صفحة 51)

إِنَّ الرَّسُولَ لَنُورٍ يُسْتَضَاءُ بِهِ **** مُهَنْدٌ مِنْ سُيُوفِ الْهِنْدِ مَسْئُولٌ

قال له الرسول صلى الله عليه وسلم: "من سيوف الله" فأصلحها كعب ، كما أمر الأنصار بأن يدافعوا بالشعر مثل السلاح، وفاضل بين شعراء الإسلام ، واعتبر شعر حسّان ، أبلغ تأثيراً في نفوس المشركين ، وعليه فقد وظّفه في نصرته الدين ، ومرضاة الله، ذلك الشعر الذي لا يتجاوز الحقيقة ، فالدين يريد من قائل الشعر ألا يخرج عن الحقيقة والصدق ، وأن يستعمل الشعر في مواطن الخير .

لقد بقي النقد على ذاته نوعاً ما ، غير ما أحدث فيه الإسلام من توجيهات ؛ تتطابق مع العقيدة والصدق والحقيقة ، كما لا ننسى موقف الصحابة الكرام ونقدهم وتوجيههم للشعر والأدب ، فهذا عمر بن الخطاب يقول عن الشعر : "تحفظوا الأشعار، وطالعوا الأخبار، فإن الشعر يدعو إلى مكارم الأخلاق ، ويعلم محاسن الأعمال ويبعث على جميل الأفعال...، وينهى عن الأخلاق الذميمة". (العلوي، 1976، صفحة 356)

وكان عنده زهير ، أشعر الشعراء ؛ لأنه : "لا يعاقل بين الكلام ولا يتبع حوشيه ، ولا يمدح الرجل إلا بما فيه " (القيرواني، 1981م، صفحة 98/1). فهذه سمات نقدية هامة جداً ، لا تصدر إلا من ناقد متمرس ، خبير بالقول كما يركز على سمة الصدق وذلك من خلال مدح الرجل بما فيه فقط ، كما يفضل الشعر الداعي إلى المعاني الحكيمة والأفكار السامية .

و تحضرنا وصيته للحطينة عند إطلاقه من السجن ، حيث قال له : "إياك والمقذع من القول ، قال وما المقذع ؟ قال: أن تخاير بين الناس ، فتقول فلان خير من فلان، و آل فلان خير من آل فلان ،قال له الحطينة: "فانت والله أهجى مني" (العاكوب، 2012، صفحة 60).

كما عجب من قول عبدة بن الطبيب:

المرء ساع لأمر ليس يدرّكه **** والعيش شحّ واشفاق وتأميل

فقال عمر : "علّـى هذا بُنيت الدنيا" (الجبوري، 1971، صفحة 11)

أما سيدنا عثمان-ض- رغم زهده ونسكه ، كان يتذوق الشعر وينظر فيه ، وينقده مسبباً ؛ ومعللاً لحكمه و

أعجب بقول زهير وأثنى عليه . (إبراهيم م.، 1997، صفحة 90/89)

وعند ما نطّ الرحال عند رابع الخلفاء الراشدين الإمام علي رضي الله ، عنه نجده يجمع لنا القول في صفات الشاعر، وكذا استراتيجيات الموازنة ، والحكم على الشعراء ، يقول : "لو أن الشعراء المتقدمين ضمهم زمان واحد، ونصبت لهم راية ، فجروا معنا علمنا من السابق منهم ، وإذا لم يكن فالذي لم يقل لرغبة ، ولا لرهبة ، فقيل ، ومن هو ؟ قال الكندي ، قيل ولم ؟ قال لأنّي رأيته أحسنهم نادرة وأسبقهم بادرة". (القيرواني، 1981م، صفحة 42، 41)

لقد بيّن الإمام علي رضي الله عنه لنا شروط الموازنة ، و هي وحدة الزمان والمكان ؛ والغرض حتّى نحكم بالأصحّ كما فضل الشاعر الذي يقول عن حرية واستقلال ، وهذا ما لمحّه رضي الله عنه ؛ في امرئ القيس بن حجر.

4. النقد في العصر الأموي :

لقد ضيق الأمويون على أنفسهم إطار الأنصار و تعصبوا و أقصوا غيرهم ، واعتمدوا على بني أمية و اليمنيين العرب المقيمين بالشام مركز خلافتهم، وحاضرة دولتهم، كما ابعدوا الأعاجم، واعتقدوا بأن العرب هم أفضل الأمم ، و قدسوا كل ما هو عربي صرف ، (الأشقر، 2008، صفحة 32) و رأى الجاحظ بأن دولة بني أمية عربية أعراقية ، و سنجد لا جرم أنّ للشعر و النقد مكانة هناك، فلقد تنوعت البيئات و التخصصات و المصادر والمحطات، وسنحاول الاقتراب منها لمعرفة حال النقد ، و الشعر ، باعتبارها مرحلة امتدادا لسابق، وسببا في لاحق.

1.4 الخلفاء :

■ اهتم بعض خلفاء بني أمية وولاتهم بالشعر ، و النقد و منحوه تقديرا كبيرا ، و نبداً بطليعتهم وهو :

✓ معاوية بن أبي سفيان- ض - :

اهتم معاوية بالشعر و جعله أعلى مراتب الأدب ؛ يقول (القيرواني، 1981م، صفحة 29/1): " يجب على الرجل تأديب ولده ؛ والشعر أعلى مراتب الأدب"

وهو هنا يتفق مع رأي عمر بن الخطاب ؛ حين قال: " تحفظوا الأشعار ؛ وطالعوا الأخبار ؛ فإن الشعر يدعو إلى مكارم الأخلاق ، و يعلم محاسن الأعمال ، و يبعث على جميل الأفعال ، ويفتق الفطنة و يشدّد القريحة ... و

ينهى عن الأخلاق الدنيئة ، و يجزر عن واقعة الرّيب ، و يحضّ على معالي الرّتب " . (العلوي، 1976، صفحة 356)

ومن المواقف النّقدية الّتي تحسب له ، قوله لعبد الرّحمان بن الحكم: "يا ابن أخي، إنّك شهرت بالشّعْر، فإياك و التّشبيب بالنّساء، فإنّك تفرّ الشّريفة في قومها، و العفيفة في نفسها ، و الهجاء فإنّك لا تعدو أنّ تعادي كريماً؛ أو تستثير لئيماً، و لكن افخر بمآثر قومك ، و قل من الأمثال ما توقّر به نفسك ؛ و تودّب به غيرك" (ربه، 1965، صفحة 281/5)

كما نجده يحدّد موقفه من المدح ؛ فيقول: " وإياك والمدح ، فهو كسب الأنزال ... ، وإذا لم تجد ؛ وإن لم تجد عن المدح بدءاً ، فكن كالملك المرادي ، حدث مدح ؛ فجمع في المدح بين نفسه و بين الممدوح فقال: (الأصفهاني، دس، صفحة 82/1)

أَحْلَلْتُ رَحْلِي فِي بَيْتِي ثَعْلٌ **** إِنَّ الْكَرِيمَ لِلْكَرِيمِ مُجَل (الشافعي، دس، صفحة 141)

إذا نجد الخليفة هنا يبدى صورة النّاقّد الحصيف ، العارف بأغراض الشّعْر و صدى الأبيات في نفوس الشّعراء القائلين بها و المتلقّين لها ، فهو محلّ خبير ، حطّ من الأغراض الهدامة للأخلاق ، و المحاسر و رفع من الّتي تبعث على النّبل ، و تحفظ الكرامة.

✓ عبد الملك بن مروان:

أمّا عبد الملك بن مروان ، فيقول: " ما النّاس إلى شيء من الأدب ؛ أحوج منهم إلى إقامة أسنتهم الّتي بها يتعاودون الكلام ، و يتعاطون البيان ، و يتهادون الحكمة ، ويستخرجون غوامض العلم من مخابئها ؛ و يجمعون ما تفرّق منها ؛ فإنّ الكلام قاضي يحكم بين الخصوم ، و ضياء يجلو الظلم ، و حاجة النّاس إلى مواده ، حاجتهم إلى موادّ الأغذية " .

نراه هنا يؤكّد على استقامة اللّسان ، أو ما يعرف بالفصاحة أو البيان ، و دوره في الحياة ، فهو ضروري كضرورة الغذاء ، وللوصول إلى هذه المرتبة ؛ هنالك عقبات لا بدّ من المرور بها ، و علوم لا بدّ من التمرّن عليها كالنحو و البلاغة و النّقد ، هو المراقب الوحيد الّذي يقول لهذا أحسنت ، و للآخر أسأت فأصلح ، و يقف في مفترق الطريق للإرشاد و التّوجيه و الغربلة ؛ و الإنتقاء ، إذا لقد تقطّن هذا الخليفة مبكراً لأهمية استقامة اللّسان، و خطر العجمة ، و الإبهام .

لقد فاضل أبو الوليد بين أغراض الشّعْر ، و أقام وزناً كبيراً للشّعْر الدّاعي إلى مكارم الأخلاق من حلم و شجاعة و عفاف، فلقد روى صاحب العقد الفريد ، أنّ عبد الملك ابن مروان قال يوماً ، و عنده أهل بيته و ولده: " ليقُل كل واحد منكم ؛ أحسن شعر سمع به ، فذكروا لامرئ القيس، و الأعشى ، و طرفة فأكثروا حتّى أتوا على محاسن ما قالوا، فقال عبد الملك: أشعرهم ، والله الّذي يقول: (ربه، 1965، صفحة 373/ 5)

وَذِي رَجِمَ قَلَمْتُ أَظْفَرُ ضُغْنِهِ **** بَحْلُمِي عَنْهُ وَهُوَ لَيْسَ لَهُ حِلْمٌ
إِذَا سُمِّتُهُ وَصَلَ الْفَرَابَةَ سَامِنِي **** قَطِيعَتَهَا، تِلْكَ السَّفَاهَةُ وَ الظُّلْمُ

فقالوا: " ومن قائلها يا أمير المؤمنين ؟ " ، قال: " معن بن أوس القرني " . (بابتي، 1995، صفحة 219)
كما نجد له ملاحظات ، تتّصل بموسيقى الشّعْر و فنياته، فهذا ابن قيس الرّقيات ينشده قائلاً: (قتيبة، 1977، صفحة 547)

إِنَّ الْحَوَادِثَ بِالْمَدِينَةِ قَد **** أَوْجَعَنِي وَقَرَعَنِي مَرَوْتِيَّةً
وَجَبَبَنِي جَبَّ السَّانِمِ وَلَمْ **** يَثْرُكُنْ رِيثًا فِي مَنَاجِبِيَّةٍ

فقال له مروان: " أحسنت ، لولا أنّك خنّثت في قوافيه " ، فقال: " ما عدوت كتاب الله : " ما أغنى عني ماليه هلك عني سلطانيه " . (سورة الحاقة ، الآية: 27 ، عدوت: تجاوزت).

و كخلاصة نجد هذا الخليفة الأموي ، ابن بينته و فطرته، فهو ناقد موسوعي تهّمه الفصاحة و التّصدير و المعاني وخاصة الّتي تبني لا تهدم ، تتفق و تتماشى مع دين الله و لا تخالفه ، مألوفة ، نابعة من إحساس صادق وكذلك اهتم بالشّكل كما رأينا ، لأنّ اللفظ خادم للمعنى ، وهي أهم ركائز النّقد و البلاغة .

كما روى أنّه كان يفضّل البيت الّذي يتم فيه المعنى ، و يقلل من قيمة ما يعرف حالياً بالتّنظيم ، فقد روى أنّه (العاكوب، 2012، صفحة 67): " أنن للناس إذنا عاما، فقال: أنشدوني ثلاثة أبيات لرجل من العرب ، كل بيت قائم بمعناه، فسكتوا ثمّ طلع عبد الله بن الزبير ، فقال هذا مقول العرب و علامتها، أبو خبيب ، قال : مهيم ؟ (مهيم : لفظ استفهام معناه ما خطبك؟ ، ما أمرك ؟) ، قال : أنشدني ثلاثة أبيات لرجل من العرب ، كل بيت قائم بمعناه قال : " بثلاث مائة ألف ، قال : وتسايي ؟ قال : أنت بالخيار ؛ و أنت واف كاف ، قال هات فأنشده للأفوه الأودي قال : (التونجي، 1998، صفحة 104)

بَلَوْتُ النَّاسَ قَرْنًا بَعْدَ قَرْنٍ **** فَلَمْ أَرَى غَيْرَ خَتَالٍ وَقَالَ
قال : " صدق " ، هيه ، قال :

وَلَمْ أَرَى فِي الْخُطُوبِ أَشَدَّ وَقَعًا **** وَأَصْعَبَ مِنْ مُعَادَاةِ الرِّجَالِ
قال : " صدق " ، هيه ، قال :

وَذُقْتُ مَرَارَةَ الْأَشْيَاءِ جَمْعًا **** فَمَا طَعَمَ أَمْرٌ مِنَ السُّؤَالِ

قال : " صدق " ، ثم أمر له ؛ بثلاث مائة ألف. (السيوطي، 2003، صفحة 162)

2.4 السُّؤَالَةُ:

سنقف عند أشدهم شكيمة و فراسة في تدق النص الأدبي ؛ و خاصّة الشعر، و أكثرهم مراسا للخطب والي
العراق لعبد الملك بن مروان ، فتى ثقيف، الحجاج بن يوسف الثقفي، الذي سجّل له التاريخ بعض الملاحظات النقدية
فقد ذكرت الروايات مايلي : " قال الحجاج للفرزدق وجريز ، وبين يديه جارية ، أيكما مدحني ببيت ؛ فضل فيه
فهذه الجارية له ، فقال الفرزدق : (المرزباني، الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء، دس، صفحة 143)

فَمَنْ يَأْمَنُ الْحَجَّاجَ وَالطَّيْرَ تَتَّقِي **** عَقُوبَتَهُ إِلَّا ضَعِيفَ الْعَرَائِمِ

وقال جرير :

فَمَنْ يَأْمَنُ الْحَجَّاجَ أَمَا عِقَابُهُ **** فَامْرُءٌ ، وَأَمَّا عَهْدُهُ فَوَثِيقٌ (ديوان جرير،

ص315).

فقال الحجاج: "و الطير تتقى عقوبته " كلام لا خير فيه، لأنّ الطير تتقى كلّ شيء، الثوب، والصبي وغير ذلك،

خذها يا جرير"، وعليه نلاحظ هنا تركيزه على المعنى الصحيح الواقعي ، رغم إتفاق الشاعران في المبنى
الخارجي وهذا يدلّ على نظرة ناقد ، عالم بمواطن الإجادة ، و الإساءة في المعاني ، كما لا ننسى أنّ الحجاج من
مشاهير الخطباء العرب بخطبه المشهورة ، التي تعكس بلاغته ، و معرفته بالقول الرائع المؤثر ؛ يقول عنه مالك
بن دينار (2) : " ما رأيت أحدا أبين من الحجاج بأنّه كان ليرقى المنبر، فيذكر إحسانه إلى أهل العراق ، و صفحه
عنهم و إساءتهم إليه ، حتى أقول في نفسي، إنّي لأحسبه صادقا ، و إنّي لأظنهم له ظالمين " (الجاحظ،

1980م، صفحة 394/1)

فهذه شهادة على قوّة حجته، و فصاحة بيانه و تأثيره في الغير، بالاقتناع و الامتاع ، أفلا يكون هذا النوع من
الخطباء، نقّادا بالبديهة، و التجربة معا.

كما يروى أنّ ليلة الأخيلية ؛ قدمت عليه فأنشدته (3) : (المبرد، دس، صفحة 360/1)

إِذَا وَرَدَ الْحَجَّاجُ أَرْضًا مَرِيضًا ***** تَتَّبِعُ أَقْصَى دَائِهَا فَشَفَاها

شَفَاها مِنَ الدَّاءِ الْعَقَامِ الَّذِي بَهَا ***** غُلَامٌ إِذَا هَزَّ الْقَنَاءَ ثَنَّاها

فقال لها: " لا تقول (غلام)، بل قولي (همام) . (الصمد، دس، صفحة 89/88)

وليلي الأخيلية شاعرة من شاعرات العرب ، ولها قصّة مشهورة مع معاوية بن أبي سفيان (يموت، 1934، صفحة
145) ، فهذه واحدة من ملاحظاته الدقيقة ، لدور المعنى في البيتين من خلال مفردة واحدة فقط .

3.4 نقد النساء :

لقد كانت المرأة العربية الشريك الثاني للرجل ، في ميادين عديدة كالحرب والسلام ، و قول الشعر والخطب و
رواية الأحاديث، و تفسير كلام الله ، و التاريخ روى لنا أخبار النساء ، و الفنون التي اشتهرن بها، و من هذه الفنون
فن النقد، الذي نجد في طليعته النسوية، في عصر بني أميّة ، امرأتان كانتا قد اشتهرتا بالنقد، و تمييز الجيد من
الرديء ، الأولى من آل البيت و هي السيدة : سكينه بنت الحسين-ض- ، و الثانية هي عقيلة بنت عقيل بن أبي طالب
-رضي الله عنهما-، و سنبدأ بالسيدة :

● سكينه بنت الحسين – ض- :

دار معظم نقدها حول سيكولوجية المرأة ، و هذا من خلال ملاحظتها في غرض الغزل، فقد روى المرزباني
من أحدهم قوله ؛ (المرزباني، الموشح في مآخذ العلم على الشعراء، 1995) : " مررت بالمدينة ؛ فعجت إلى سكينه
بنت الحسين ، لأسلم عليها فألّفت على بابها الفرزدق ؛ و جرير ؛ و كثير عزة ؛ و جميل بن معمر ، و الناس
مجتمعون عليهم ، فخرجت جارية لها بيضاء فقالت : " يا أبي الزناد ، شغلك شعرائنا عن البعثة إلينا بالسلام ، قال

قلت أجل ، و ما أقبلت إلا للسلام عليكم " ؛ فدخلت ثم خرجت ، فقالت : " أين الفرزدق ؟ - تقول مولاتي لك : أنت القائل ؟ :

هما دلتاني من ثمانين قامة **** و ذكرت الأبيات ...

قال: " نعم " ، قالت: "سوءة لك ، أما استحيت من الفحش تظهره في شعرك ، ألا سترت عليك ؟ أفسدت شعرك ، ثم دخلت ؛ و خرجت ؛ فقالت: أَيْكَم جَرِير؟، أأنت القائل؟: (ديوان جرير ، 1986)

سَرَتِ الْهُمُومُ فَبِشْنٍ غَيْرِ نِيَامٍ **** وَ أَخْوَا الْهُمُومِ يَرُومُ كُلُّ مَرَامٍ
طَرَقَتْكَ صَائِدَةُ الْقُلُوبِ وَ لَيْسَ ذَا **** وَ قَتَّ الزَّيَارَةُ فَارْجِعْ بِسَلَامٍ

قال: نعم، قالت: " كيف جعلتها صائدة لقلبك ، حتّى إذا أناخت ببابك ؛ جعلت دونها سترك ... " . (المرزباني، الموشح في مأخذ العلم على الشعراء ، 1995، صفحة 202)

إذا ما يستفاد هنا ، أنّ السيدة سكيمة تمثّل الحُكم و النّأقد المتمرّس، تماما مثلما كان التّابغة يصنع ؛ وهذا أمر يعكس خبرتها الفنّية وتجربتها مع الشّعْر خاصّة ، و لقد قال عنها صاحب الأغاني : " أنّها كانت برزة -أي جميلة- تجالس الأجلة من قریش ، و يجتمع إليها الشّعراء و كانت ظريفة مازحة " (سلام، د س، صفحة 4)، وقيل أنّها كانت زوجة مصعب بن الزّبير ؛ و لها شعر ترثيه فيه. (يموت، 1934، صفحة 171)

أمّا المرأة الثانية التي سنلتقي بها في هذا العصر ، و التي ستمثّل لنا الحُكم الثّاني، و النّأقد الثّانية ليست ببعيدة النسب عن الأولى ، فهما من بيئة واحدة ، و فرع واحد هو الفرع الهاشمي.

● عقيلة بنت عقيل بن أبي طالب -ض- :

قال عنها صاحب الموشّح (العاكوب، 2012، صفحة 104) : " كانت عقيلة بنت عقيل بن أبي طالب تجلس للناس ، فبينما هي جالسة ، إذ قيل لها العذرى بالبواب ، فقالت : " انذنوا له بالدخول " ، فدخل فقالت له : "أأنت القائل ؟" :

فَلَوْ تَرَكْتُ عَقْلِي مَعِيَ مَا بَكَيْتُهَا **** وَلَكِنْ طَلَابِيهَا مَا قَاتَ مِنْ عَقْلِي
إِنَّمَا تَطْلُبُهَا عِنْدَ ذَهَابِ عَقْلِكَ ، لَوْ لَا أَبْيَاتُ بَلْغَتْنِي عَنْكَ ، مَا أَذْنَتُ لَكَ ، وَ هِيَ : (نفس المرجع)

عَلَقْتُ الْهَوَى فِيهَا وَلَيْدًا فَلَمْ يَزَلْ **** إِلَى الْيَوْمِ يَتَمَى حُبَّهَا وَ يَزِيدُ
فَلَا أَنَا مُجْرِمٌ بِمَا جِئْتُ طَالِبٌ **** وَ لَا حَبِيبٌ فِيهَا فِيمَا يَبِيدُ يَبِيدُ
يَمُوتُ الْهَوَى مِنِّي إِذَا مَا لَقِيْتُهَا **** وَ يَحْيَى إِذَا مَا فَارَقْتُهَا فَيَعُودُ

ثم قيل هذا كثير عزة و الأحوص بالبواب ، فقالت : انذنوا لهما ، ثم أقبلت على كثير فقالت : أما أنت يا كثير فألام العرب عهدا في قولك : (عباس، 1971م، صفحة 523)

أَرِيدُ لِأَنْسَى ذِكْرَهَا فَكَأَنَّمَا **** تَمَثَّلُ لِي لَيْلَى فِي كُلِّ سَبِيلٍ

ولم ترد أن تنسى ذكرها ؟ أما تطلبها إلا إذا مثلت لك ؟ ؛ أما والله لولا بيتان قلتهما ما التفت إليك ، و هما قولك :

فَيَا حُبَّهَا زِدْنِي هَوَى كُـلِّ لَيْلَةٍ **** وَ يَا سَلْوَةَ الْآيَامِ مَوْعِدُكَ الْحَشْرُ
عَجِبْتُ لِسَعْيِ الدَّهْرِ بَيْنِي وَ بَيْنَهَا **** فَلَمَّا انْقَضَ مَا بَيْنَنَا سَكَنَ الدَّهْرُ

كما قيل أنّها كانت تقول الشعر ، ولها في وقعة كربلاء ، بعد مقتل الحسين -ض- أبياتا (العاكوب مرجع سبق ذكره صفحة 211)

إذا و من خلال النّأقدتين ، يتجلّى لنا أنّ حكمهما النّقدية ، دار حول فنّ الغزل ، الذي يصوّر لك العاشق و شدّة صوابته ، و موقع آلامه ، أما التّسيب الذي في هذه المعاني فلا قيمة له عندهما ، فهما قد وقفنا على المعاني أكثر في المباني ، و مالتا إلى تصوير الأحاسيس، بصدق عقلي ثم عاطفي، يتماشى و نظرة المجتمع ، و أحكام العرف و البيئة و لا يخلو من الجدة ، و أغلبه يهتم بالمعاني ، و التّصوير البياني ، و الصدق و رسم الحقيقة ، كما أنّ أغلب النّقاد هم شعراء ، قبل أن يرسلوا أحكامهم النّقدية ؛ التي تمتاز في عمومها بميزة الغنائمية.

5. النّقد في العصر العباسي:

لقد رفدت ثقافتا اليونان والفرس ، الأدب العربي في العصر العباسي ، فانتعش ولمع وتطوّر وبرز فيه خيرة أعلامنا كالجاحظ ، وابن المقفع ، وقدامة ، والمتنبي ، والمعري

وسبب المعينتهم هو إحساسهم ، بوجود روح في آداب غيرهم ، عكفوا على جلبها ، لتغذية أدبهم العربي الذي كان قبلهم عربيا صرفا ، وخاصة مع الأمويين.

ولا يظنّ المرء أنّ امتصاص النّحلة، لرحيق الزّهرة يذبلها، أو يحوّر النّحلة شيئا آخر، فالأدب الذي لا يطعم وليس لديه قابلية للتّمازج سيجمد، ويموت ،يقول غوتيه الألمان : "ينتهي كلّ أدب إلى الضّيق بذات نفسه ، إذا لم تأت

إليه نفائس الآداب الأخرى ، لتجدد الخلق في ديباجته" (التونجي م.، 1995، صفحة 28) ، هذا ما حدث لأدبنا العربي فيما بعد العصر العباسي ، عصر الازدهار.

لا جرم أنّ العرب قد مستها نفحة التّقدّم ، والرّقي ، في عصر بني العبّاس ، الّذي اتّسعت فيه الأمصار واختلطت فيه الأجناس، وتنوّعت فيه اللّهجات، والثّقافات والأفكار، وبرز مالم يبرز عند الأمويّين ، ومن المؤكّد أنّ تلك النّفحة قد داعبت ناصية الأدب ، وسرت في عروق النّقد ، والسّؤال الّذي يطرح هنا ، هو كيف هي حال النّقد آنذاك ؟ ؛ وهل تحرّور أم بقي على ما كان عليه؟

أي في صورته الأولى ، المعتمدة على الغنائية ، والدّوق والسّليقة ، والمتجلّية في صورة ملاحظات عابرة ، تفتقر لمعايير وقوانين مضبوطة، فردية، أم تغيّر؟ .

وعليه سنحاول في هذه السّطور ، أن نقف على حالة النّقد وحقيقته ، محاولين تعليل كلّ نمط جديد ؛ مبرزين ذلك بللمحة تاريخية، وشواهد أدبية، تمس جوهر وحقيقة النّقد الأدبي، في هذا العصر.

لقد كان النّقد العبّاسي يعتني كذلك باللّغة ، في أحكامه الدّوقية ، فهذا المبرّد يرى أنّ أبا العناهيّة ، كان كثير السّقط واللّحن ، ومما أخطأ فيه قوله :

و لربّما سنلّ البخيل الشّيء لا يسوّى فتّيلاً ****

فالخطأ في قوله: "لا يسوّى" والصّحيح هو: "لا يساوي" ؛ لأنّه من ساواه يساويه ، وكذلك عرف اللّحن عند أبو نّواس، وكذلك الإفراط، فهذا "محمّد بن يزيد" يقول عنه: "وليس عندي بالمحمود ، لما فيه من الإفراط" في قول أبي نّواس عن الخمر (العناهيّة، 1986، صفحة 383)

عتقت حتّى لو اتّصلت **** بلسان ناطق وفم

ومن الفكر النّقدية الّتي تبلورت في هذا العصر ، نذكر ظاهرة الموازنة بين الشعراء ، و الّتي يرافقها شيء من التّعليل والتّوضيح والشرح ، فقد سأل أبو حاتم السّجستاني الأصمعي ، قائلاً(3): "أبشّار أشعر أم مروان؟" ؛ قال بشّار أشعرهما، قلت وكيف ذلك؟ ؛ قال: لأنّ مروان سلك طريقاً كثر سلاكه ؛ فلم يلحق بمن تقدّمه ؛ وأنّ بشّار سلك طريقاً لم يسلكه أحد ، فأنفرد به وأحسن فيه ، وهو أكثر فنون الشعر... " (قصبجي، 1996، صفحة 36/35)

ومن الفكر كذلك نفورهم من عيب تنافر الحروف، وكثرتها في بيت واحد ، فقد ذكر أبو بـ كـر الجرجاني قال: حدثنا أبو العيّن قال: أنشد إسحاق الموصلي؛ الأصمعي، قوله في غضب المأمون عليه :

(المرزباني مرجع سبق ذكره ص340)

يا سرحة الماء قد سدت موارده **** أما إليك طريق غير مسدود

لحائم حام حتّى لا حيام به **** محلاً عن طريق الماء مطرود

فقال له الأصمعي: "أحسن في الشعر ، غير أنّ هذه الحاءات لو اجتمعت في آية الكرسي لعابتها " ؛ فنقد الأصمعي هنا إيقاعي ، ميّز فيه بين التّناغم وانسجام الحروف ، و أثرها على السّمع

كما خطى النّقد خطوات جبّارة في عصر العبّاسيين ، وابتعد عن العواطف والعصبيات ، وانقسم اتجاهات وشعب غير أنّه لم ينسى روحه القديمة ، وانبتق في أربع ذهنيات هي:

- ذهنية اللّغويين:

كانوا مبنوئين في البصرة ، والكوفة وبغداد ، والرّي ، يؤدّبون أبناء الخلفاء ، ويؤلّفون الكتب ، منهم أبو سعيد السّكري وأبو العبّاس ثعلب ؛ والمبرد.

- ذهنية الأدباء:

هم الشعراء والأدباء وعلماء الأدب ، الّذين اهتموا بالحديث واحتفوا به وحلّوا عناصره ، و منهم عبدالله بن المعتز صاحب كتاب (البديع) الّذي اهتم بنقد المحدثين ، وصاحب رسالة في محاسن شعر أبي تمام ومساويه ، وهذه الطائفة توازن بين الشعر الحديث آنذاك والقديم.

- ذهنية العلماء:

وهم الّذين أخذوا قسطاً قليلاً من المعارف الأجنبية ، يعتمدون على القديم في الرّوح والشّواهد، ويتأثّرون بالمعارف المنقولة ومنهم ابن قتيبة.

- ذهنية العلماء الّذين تأثّروا بالثقافة اليونانية:

وفيه من يسمّيه بأصحاب الاتّجاه الفلسفي المنطقي ، و خير من يمثلهم قدامة بن جعفر ؛ صاحب كتاب " نقد الشعر"

كانت هذه هي أهم المحطات ؛ التي ستدور في رحابها معارك النقد الأدبي العربي ، ولكل ذهنية سندت ودعائم وشروحات ؛ وشواهد ، و قبل أن نأخذ كرونولوجيا لأهم المؤلفات النقدية ، سنورد بعض الشواهد النقدية والملاحظات الجوهرية بالرغم من كثرتها واختلافها ، وتنوعها ، ولقد عالج النقد عدة حقول منها ، البناء اللغوي والسرقات الأدبية والجودة والرداءة ؛ والنظم والوزن والفن والأخلاق ، والدين وكذلك الذاتية ؛ والموضوعية في الإدراك الجمالي للأدب وتنقيح الشعر وانتحاله وضياح قدر كبير منه ، ومرجعية الحكم النقدي ، ومشكلة اللفظ والمعنى .

لقد ظهرت في الأدب العربي إبان عصر العباسيين نزعتان ، إحداهما تميل إلى تمجيد الماضي ، وتحاول الحفاظ عليه وتخشى الانفتاح ، فهي تعد امتداد للعهد الجاهلي والأموي ، وعلماء هذه المدرسة عكفوا على دراسة أدب القدامى ومنهم الخليل ، والكسائي ، والأصمعي... حتى في نقدهم كانوا يسبغون على خطى القدامى ، أما الاتجاه الثاني فهو النمط العلمي في الأدب والنقد ؛ قام بوضع المؤلفات واستنباط القواعد والأحكام ؛ ولعل صاحب "طبقات فحول الشعراء" من أولهم ، فلقد تناول عدة أفكار نقدية ، جوهرية جديدة منها:

1- ثقافة الناقد وطبيعته.

2- مرجعية الحكم النقدي.

3- أولية الشعر وتنقله وانتحاله وضياح قدر كبير منه.

ثم تبعه فيما بعد ابن قتيبة ، و من أفكاره النقدية في مؤلفه ؛ ما يلي:

- الموضوعية في النقد والأحكام النقدية.

- اختلاف شعر الشعراء.

- التكلف والطبع.

كما دعى إلى عدم التفريق في الوزن بين القديم والحديث ، فصفة الجودة والرداءة موجودة في كليهما ، بعده سطع نجم صاحب كتاب "البديع" ؛ لابن المعتز ، مشيرا إلى وجود البديع في أدب الجاهلية والإسلام ؛ وكان مما أحدثه هو استخدامه لمصطلحات تخص أنواع البديع... كما لا يفوتنا نجم قدامة بن جعفر ، وكتابه الثمين "نقد الشعر" ، الذي قسمه إلى قسمين نظري ، وآخر تطبيقي ؛ تطرق في النظري إلى ما يلي:

- تعريف الشعر و أوصافه ، وأسبابه ، ومكوناته .

- الجودة والرداءة ، في الأسباب الأربعة المكونة للشعر .

- طبيعة الشعر ، الغلو والمبالغة في المعاني.

ثم ظهرت مدرستان ذواتا شأن كبير ، إحداهما تفضل الحرية ، والأخرى محافظة تسير على منوال القدامى وتجلى أول صراع بينهما حول الشعراء ، والبحثري ، وأبو تمام ، فجاء على هذا مؤلفان هما: الصولي ، والأمدي وكلاهما سار سيرة نقدية في عملهما ، وخطا بالنقد خطوات محسوبة... ثم ظهر صاحب "الوساطة بين المتنبي وخصومه" ، ورأى أن المعاني مطروحة أمام الشعراء ، لا عيب على الشاعر إن أخذها ، واستعملها ، وألبسها لفظا جديدا ... ، كما تطرق لبعض القضايا النقدية ، مثل: السرقات الشعرية وعمود الشعر ، والتعقيد والغموض . (أمين ، دس ، صفحة 389)

ثم جاء صاحب البيتية ، الذي لا يخلو كتابه من نظرات نقدية ، لطيفة ، تجلت في ذكر محاسن ومساوئ شعر المتنبي (المرجع السابق 390) ، بعدها يطل صاحب الصناعتين ، الذي رأى فيه أحمد أمين ، أنه حول النقد إلى بلاغة وتبعه الناس فيما بعد مثل عبد القاهر الجرجاني ؛ الذي ألف الأسرار والدلائل ، وكان من أنصار المعاني وأدرك أن بعض الألفاظ ، تحسن في النثر وتحسن في الشعر ، كما ربط النحو بالمعاني ، وعنده للأسلوب شأن عظيم ، في تقريب المعنى أو إبعاده... (المرجع السابق 391)

كما ينبغي الإشارة إلى صاحب رسالة الغفران ، أبو العلاء المعري ، وإن كان هنا نقده خياليا ، فقد وجدنا عنده رسائل نقدية كرسالة نقد إمرو القيس ، ونقد لأبي تمام ، في رسالته "ذكرى حبيب" والبحثري في رسالته "عيب الوليد" ... فهو فيهم كلهم ناقد ، فلسفي ، ديني ، أدبي... .

ثم جاء صاحب العمدة "في صناعة الشعر ونقده" ، وتعرض لمحاول نقدية مثل: عناصر الشعر وفضله

وبواعثه وأشار إلى طبقات الشعراء ، وإلى القوافي والأوزان ، والأغراض.

ثم بعده ظهر ابن سنان الخفاجي ، بكتابه "سر الفصاحة" ، الذي تكلم فيه عن السجع ، و ذكر نماذج عنه وبعده أطل صاحب المثل السائر ، الذي أبدى التفاتات أدبية رائعة ... (المرجع السابق 392)

إنّ ما يمكن تأكّيده ، أنّ النّقد في العصر العبّاسي ، ليس هو النّقد كما عهدناه ، من قبل ، فلقد صار متشعّب النواحي دقيق ، قائم على البلاغة والفلسفة والمنطق ، وكل المعارف التي دخلت عالم المثقّف العربي إثر حركة التّأثير والتّأثر .

6 . خاتمة:

لقد توصّلنا من خلالها عملنا المتواضع هذا ؛ الى كون النّقد في الأدب العربي القديم بشقّه المنظوم والمنثور ؛ متجذّر ومتأصل ؛ و لا يمكن فصله عن الابداع الأدبي ، فهو من يغربل عناصر الابداع ويشرح أسباب جماله وقوّته ؛ أو رداءته وضعفه ، وهو أمر فطري في الإنسان ، و لم يظهر هكذا ناضجا مكتملا من البداية بل مرّ بضروب ومراحل طويلة ؛ بدءا بالجاهلي ، و لقد ساهمت في نضجه وبلورت صورته عدّة أطراف متباينة العقائد والتّوجّهات ؛ وحتّى السّياقات والمقامات الاجتماعية ؛ و السّياسية والاقتصادية

ونحن هنا لا ندّعي تحصيل الوافر والالمام بجميع الجوانب ، فمثّلنا مثل الغوّاص الذي كلّما غاص من أجل جوهرة أعجب بغيرها ؛ ولم يقنع إلّا بالعديد منها ، فجوانب التّقيب والبحث في هذا الموضوع بحاجة إلى مزيد من الجهد والاكتشاف ؛ واماطة اللّثام و مازالت عدّة نقاط بحاجة إلى البحث والتّوضيح ، فالمجال واسع ، والمادّة الخام غزيرة ولا ندّعي الكمال ؛ فعملنا نسبي ويعدّ قطرة من بحر قابل للزيادة والتّقصان والتّمحيص ...

7 . المصادر والمراجع

- ابن رشيق ، القيرواني . (1981م). *العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده* (الإصدار ج1، المجلد 5). دار الجبل.
- ابن سلام الجمحي . (1974). *طبقات الشّعراء* (المجلد 1). القاهرة، مصر : مطبعة المدني.
- ابن عدي ربه . (1965). *العقد الفريد* (المجلد 1). القاهرة ، مصر : مطبعة لجنة التّأليف والترجمة والنشر .
- ابن قتيبة . (1977). *الشعر والشّعراء* (المجلد 3). القاهرة .
- أبو العباس ، محمد بن يزيد المبرد . (د س). *الكامل* (المجلد 2). د م، مصر: دار نهضة مصر للطبع والنشر .
- أبو الفرج، الأصفهاني. *الأغاني 1* (الإصدار 1، المجلد 1). بيروت ، لبنان : دار صادر .
- أبو زيد نوري سعودي . (2012). *ممارسات في النقد للسّاتيات*. سطيف، الجزائر : بيت الحكمة للنشر والتوزيع.
- ابو عثمان عمر بن بحر الجاحظ . (1980م). *البيان والتبيين* (المجلد 1). القاهرة، مصر: مطبعة لجنة التّأليف والترجمة .
- أحمد أمين . (دس). *النقد الأدبي* (المجلد 1). القاهرة، مصر : شركة عربية للترجمة والنشر.
- الراغب الأصفهاني . (د س). *محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء*. بيروت: بيروت .
- السّبكي . (1964). *طبقات الشافعية الكبرى* (المجلد 1). القاهرة ، د ب: مطبعة عيسى البابي الحلبي.
- السيوطي . (2003). *تاريخ الخلفاء* (المجلد 1). بيروت: دار ابن حزم.
- المرزباني . (1995). *الموشح في مآخذ العلم على الشعراء* (المجلد 1). بيروت ، لبنان: دار الكتب العلمية .
- المرزباني . (1995). *الموشح في مآخذ العلم على الشعراء* (المجلد 1). بيروت ، لبنان: دار الكتب العلمية .
- المرزباني . (د س). *الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء*. القاهرة: دار الفكر العربي.
- المظفر بن الفضل العلوي . (1976). *نصرة الإغريض في نصرة القريض* (المجلد د ط). دمشق، سوريا : مطبعة طربين.
- تح : د . واضح الصمد . (دش، دس). *ديوان ليلة الاخيلية* . بيروت، لبنان: دار صادر.
- تح : عبد الرحمان محمد الوصيفي . (دش، 2003). *ديوان المسيب بن علس*. I . د م، د ب: مكتبة الآداب.
- تح : محمد التونسي . (1998). *ديوان الافوه الاودي*. I . بيروت، لبنان: دار صادر.
- تح: عزيزة فوال بابتي . (1995). *ديوان عبيد اله بن قيس الرقيات*. I . بيروت، لبنان: دار الجبل.
- تصحيح، مصطفى عبد الشافي . (دش، د س). *ديوان امرؤ القيس*. دم: دار الكتب العلمي.
- جمع وتحقيق : بشير يموت . (1934). *شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام*. I . المكتبة الأهلية.
- د.غازي طليمات و أ.عرفان الأشقر . (2008). *الشعر في العصر الأموي* (المجلد 1). (عرفان غازي طليمات الأشقر، المحرر) دمشق، سوريا: دار الفكر.
- د: يحي الجبوري . (د ي د ش، 1971). *شعر عبدة بن الطبيب* . د م، د ب: دار التربية للطباعة والنشر .
- د:إحسان عباس . (1971م). *ديوان كثير*. *دار الثقافة* . بيروت، لبنان.
- ديوان أبي العتاهية . (دي دش، 1986). *ديوان أبي العتاهية*. I . بيروت، لبنان.
- ديوان جرير . (1986). *دار بيروت للطباعة والنشر* .
- ديوان جرير . (دي دش، 1986). د م: دار بيروت للطباعة والنشر .
- ديوان جرير ، دار بيروت للطباعة والنشر ، 1986 م ، (بلا تاريخ).
- ديوان سويد اليشكري . (دش، 1972). *ديوان سويد اليشكري*. I ، 23 . د م، د ب.
- سورة الحاقة ، الآية : 27 ، عدوت : تجاوزت . (بلا تاريخ).
- شرح الأعلام الشنتمري (المحرر). (د ي د ش ، 1969). *ديوان علقمة الفحل*. I . حلب، سوريا: دار الكتاب العربي.
- طه احمد إبراهيم . (2004). *تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع هجري*. مكة المكرمة ،: مكتبة الفيصلية .
- طه احمد إبراهيم . (2004). *تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع هجري* (المجلد د ط). مكة المكرمة: مكتبة الفيصلية.

- عبد أمهنا. (1994). *ديوان حسان* (المجلد 2). بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية.
- عصام قصبي. (1996). *أصول النقد العربي القديم*. حلب : منشورات جامعة حلب ،كلية الآداب والعلوم الإنسانية .
- عيسى علي العاكوب. (2012). *التفكير النقدي عند العرب* (المجلد 9). رويبة، الجزائر ، الجزائر : دار الوعي للنشر والتوزيع.
- محمد التونجي. (1995). *الآداب المقارنة* (المجلد 1). بيروت، لبنان : دار الجيل بيروت.
- محمد العمري. (2010). *البلاغة العربية أصولها وامتداداتها* (المجلد 2). د م: افريقيا الشرق.
- محمد زغلول سلام. (د س). ، *تاريخ النقد الأدبي و البلاغة حتى القرن الرابع هجري* (الإصدار مطبعة الأطلس، المجلد 1). الاسكندرية: منشأة المعارف الإسكندرية.
- مصطفى عبد الرحمان إبراهيم. (دش، 1997). *في النقد الأدبي القديم عند العرب*. مكة، السعودية : مكة للطباعة.